

ومن عادة بني روماتوف انهم يشترطون بقاء بناتهم على المذهب الارثوذكسي
اذا تزوجن بغير ارثوذكسي ويشترطون عند زواجهم بغير ارثوذكسية ان تدخل
زوجتهم في المذهب الارثوذكسي اولاً وهي عادة تدل - بقطع النظر عن العقيدة -
على رفعة الأخلاق وكرامة النفس فان الدين كالعرض لا يتاجر به

يوسف الخازن

المرء ودنياه

عرف القراء اننا نرعى في ما نشره لكتاب مختلفين من اصناف مختلفة الى جعل هذه
المجلة مرآة تتجلى فيها حالة اللغة والافكار في جميع الامصار العربية . وفي المقالة الآتية التي جاءتنا
من دار السلام وفي ما نشرناه قبلها لكتاب الزهور في العراق ما يصح أن يكون نموذجاً للاسلوب
الانثائي والحركة الفكرية في تلك الربوع التي عاشت اللغة العربية فيها عصرها الذهبي :

حياة المرء في دنياه ركبٌ يجوب الارضَ في طولٍ وعرضٍ
فتغويرٌ له في أرض قومٍ وتعريسٌ له في غير أرضٍ
وأيام الشهور هي المطايا تحتُ السيرَ بعضٌ إثرَ بعضٍ
وما عيشُ الفتى إلا غرورٌ كظل زائلٍ او خفق ومضٍ

يعيش ابن آدم في الدنيا وهو مغرور بزهوها، وزهرتها . مشبوب الفؤاد بحبها ،
طائر القلب اليها ، مشغول الخاطر بقطعها ووصالها ، يطلب منها الوفاء وهي تغدر به
ويتوسل الي قربها بكل وسيلة وهي تخدعه ، وتمنيه بالوعد . « وما مواعيدها إلا
الباطيل » ١

ولو علم الانسان - أن الدنيا عادة عطبول ، وعاشق ملول . ان وصلت قطعت ،
وان اعطت منعت . نعيمها بوئس ، وحلوها مر ، وراحتها تعب ، ويقاؤها فناء ،
وعمارها خراب ، واهلها في خطر منها - ما ركن اليها بكفه ، وما سعى لها كل

السعي ، وما بات وليس له من شغل شاغل سواها ، ولا ذكر إلا ذكرها . . .
أيها الانسان الذي غره من الدنيا زخرفها ، واطمعته امانتها ، واستغوته شهواتها ،
واستغوته زيتها وطلاوتها ، وانطلى عليه محالها . اصبح السمع ، وع القلب ، الى
وصف حال الدنيا وسيرتها مع أهلها ولا أظنك بمصغ ولا بواع . !
أيها الانسان إن الدنيا كما جاء وصفها في القرآن المجيد ولا ابلغ من ذلك الوصف
شيء « كما انزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيأ تذروه
الرياح ؛ وكان الله على كل شيء مقتدرأ . »

بينما تراها مقبلة عليك بنصرتها ، وبهجتها ، ليس لها بعل غيرك ، ولا دار سوى
منزلك ، ولا نظرة إلا اليك ، تراها بأسرع من لمح البصر قطعتك الوداد ، ومنحتك
الصد والبعاد ، فاتقلب سرورك حزناً ، وحلو عيشك مرأ ، وصفو شرابك رتقأ
كدرأ ، وتركك وحيدأ فريدأ ، في مفازة من ضنك العيش ، ووحشة الفقر ،
لا مؤنس لك ولا متوجع ، ولا ناصر لك ولا معين ، كمن جاءه الموج من كل
مكان ، جفاك بجفائها الاصحاب ، وانكرك الاقارب والأباعد والأهل والجيران .
وصارت كل خلة كانت لك في الغنى مدحأ ذمأ

فأضحى الذي يود أن تكون لك حاجة عنده ، فيتقرب اليك بها ويتشرف
بقضائها يتشاغل عن رد سلامك اذا ما سلمت عليه لا شيء هناك بل وفاة منك
بالود له ! فهو يترك واجبأ ويفعل محرماً ، حذراً من ان تقول له قد بت البارحة
أنا وزوجي وأطفالي لا فراش لنا سوى التراب ، ولا غطاء لنا سوى السحاب ،
ولا طعام لنا سوى الماء والهواء ، فهل لك ان تكرم عزيز قوم ذل ، وشريفاً حسبه
الجاهلون غنياً من التعفف ؟

وأسمى الذي يوسط الواسطات الى الحضور بين يديك أكره شيء في عينه
النظر الى وجهك . ولو في ليل ادلهمت دياجيره ، كأنما ينظر اليك بعينين غير
عينه الأولين

وبات الذي كان يفتخر بمجالستك ، ومنادمتك في سفرك ومحاضرتك
يستنكف من جلوسك الى جنبه ، ولو في قعر من الأرض لا رايح فيه ولا غاد
وعاد الذي كان يسعى في حسن خدمتك من قبل ، أقبح شيء يراه حسن
خدمتك له ، فتراه يتأمر عليك ، ويتذمر منك ، ويحكم فيك حكم السادة على
العبيد ، ولا يرى حقاً لنعمتك التي أسبغتها عليه فيما مضى كأن لم تكن شيئاً مذكوراً !
وراح الذي كان يتبرك بلباس ثوبك الخلق ، يفر منك د فرار السليم من
الأجرب ،

وصار الذي كان يستنجدك في الملل ، ويلجأ اليك في المهمات ، يتربص لك
الدوائر وينصب لك المكائد ، ويؤتب عليك اذا استنجدته في الخلاص من
ورطة وقعت فيها ، فاذا الذي يستنصرك بالأمس يستصرخك

أيها الانسان الذي غره من الدنيا ظواهرها ، ونخيت عليه بواطنها ، فقام لها
على قدم وساق ، وشمر لها عن ساعد الجد والاجتهاد ، واحبها حباً اعشى بصره
عن مساوئها ، وأعمه قلبه ، وخامر عقله ولبه ، حتى استحوذ عليه شيطانها ، وأخذت
بمجامع قلبه شهواتها . ويا أيها الانسان الذي يتفانى في حب الدنيا ولا يلهج إلا
بذكرها ، ولا ينشد إلا ضالتها ، ولا يعرف إلا إياها ، ولا ينظر الى سواها ، هلاً
اعتبرت بما عاملت به تلك الدنيا آباءك المتقدمين ، وأجدادك السالفين ، أهل
القرون الأولى والقوم الجبارين ؟ فكم أفنت من دول ، وكم أبادت من الملوك
الأول ، أرباب السطوة والسلطان ، والأسرة والبيجان ، الذين عمروا فيها عمر
نوح ، وملكوا ملك سليمان ، وبنوا بناء الاسكندر ، ووطنوا طغوى قرون ، وصالوا
صولة النمرود ، وحكموا حكم القياصرة ، وعاشوا عيش الأكامرة

أين أين الملك أين الرعايا أين أين القواد للاجناد
أين أين البناء أين المباني أين من شيدوا كذات العمار

أين اسكندرُ وأين هرقلُ أين عمرو أين ذو الأوتار
 أين قارون أين فرعون موسى أين كسرى وقيصر ذو الآر
 أين من كتبوا الكتابَ للحر ب وصلوا بالمرهقات الحداد
 أين من كانوا يحرصون على الما ل ومن كان كعبةً القصار
 هذه دورهم نجيبك عنهم لو يجيب الجادُ صوت المنادي
 صرعتهم كأسُ الموت ولما يستفيقوا حتى ليوم التنادي
 وغدوا يُحملون من بعد عرش ال حلك في موكب على الأعواد
 وغدا ما لهم وما جمعوه للأعادي إرتاءً وللحساد
 وجفاهم اخوانهم وبنوهم وجميع الحجاب والقواد
 وثبوا في القبور من بعد ما كا نوا بعالي القصور كالأطواد
 واستقروا في ضيق اللحد ياسعد مقر السيوف في الأنجاد
 ورضوا بالتراب بعد فراش من حريرٍ موثِرٍ ووساد
 جمعهم دارُ الموت جميعاً وهم من قبائل وبلاد
 فغدا الضد يألف الضد طوعاً وغريبٌ تألف الاضداد
 ومليك الزمان منهم له النو دُ ندیم بعد الحسان الخراد

فإذا كان هذا مسير الانسان ومصيره ، فينبغي للعاقل أن ينظر الى الدنيا نظر
 معتبر ، وان يجعل مقامه فيها مقام مسافر ، نزل دارها اليوم ويرحل عنها غداً . وان
 يحاذر منها كل الخدر ، لأنها عدو في ثياب صديق ، وان يندر فيها ما طاب غرسه ،
 ووزكا أصله ، ونما فرعه ، وايئع ثمره ، وحلا ذوقه ، واعذوذب طعمه . لأنها مزرعة
 الآخرة ، والمرء يحصد ما زرع : وان لا يحزن على شيء فاته منها ، ولا على شيء
 انقطع عنه بعد ما اصابه منها ، بل ينبغي له أن ينزل ما اصاب منها ، منزلة ما لم يضرب .
 لأن جوهرها عرض زائل ، وكسبها خسران ميبين . وان لا يتزود من الدنيا الآ

بقدر ما تمس الحاجة إليه . وأنت يقنع بالشيء اليسير منها ، اذ لا شيء اغنى من القناعة . د ومن هضم دنياه وزهد فيها لآخرته ، لم يجرمه الله بذلك نصيه من الدنيا ؛ ولم ينقصه من سروره فيها . ، وان لا يبيع آخرته بدنيا غيره حتى ولا بدنياه وينبغي للماقل أن يستقرى أخبار السالفين وأعمالهم ، فيأخذ بالاحسان منها عملاً ، ويترك القبيح ، وينذهب مذهب من سلك طريقاً هداه الى الحق ، والى الصراط المستقيم ، ويتجنب منهاج قوم يجرّ ناهجه الى الضلال ، وسوء المنقلب . وان لا يكون غير ذي دين ، فان الدين رابطة الانسان بحلاله وحرامه ، وان لا يظن إلا حسناً ، ولا يكون سبب الاعتقاد في الناس ، فان سوء الاعتقاد روح الفساد وينبغي للماقل أن لا يُغض الى نفسه عبادة ربه ، وان يساوي بين معاشه ومعاذه ، وان لا يترك مجالاً لنفوذ احدهما على الآخر . وأن يعمل فيها عمل من يأمل أن يموت هرماً ، وعمل من يرجو أن يموت غداً . وان لا يفرح بالكثير من المال اذا ناله ، ولا يحزن لقلته اذا فقد الكثير منه . وان يصنع المعروف مع كل فرد من ابناء جنسه . وان يجود على الناس بما وسع الله عليه من الرزق ، ويتهمز فرصة نعم الله عليه ، فيتفضل بها قبل زوالها . لأن الغد وراء الغيب ، والمرء لا يعلم من نفسه الا ما ضيها وحاضرها . فهو في مستقبله كالأعمى السالك طريقاً وعراً في ليلة ليلاء ، لا يدري أين يضع قدمه ، في النار أم في البحر وينبغي للماقل ان يكون جليداً صبوراً اذا ما ابتابه نوايب الزمان ، وطوارق الحداث . وان لا يترك حلسديه بشعرون بما اصابه من المصائب . وان يكون ذا حزم واقدام ، وان لا يصدّه أدنى عائق يعيقه عما يحاوله من صعاب الامور . وان لا يتهاون بصغار الاشياء ولا يستعظم في عين كبارها . فان الصغار يلدن الكبار . ومن هاب الشيء العظيم خسر ما دونه وينبغي للماقل أن ينظر الى عيب نفسه ، قبل أن ينظر الى عيب غيره . وان

ينغض طرفه عن عيب أخيه ولا يفتحه به مخافة أن يفتحه بمثله . وأي الرجال المهذب وينبغي للعاقل أن يتعلم العقل من المجنون ، والحلم من رأي السفية ، وحسن الاخلاق من سيئها ، والعلم من الجاهل ، والأدب من السافل ، والدين من الكافر . وان يأخذ الوفاء عن غدر اللثيم ، والمعبرة عن الدهر . واللييب من اتعظ بغيره وينبغي للعاقل تهذيب نفسه وتعويدها فعل الخير وكل ما ينفع الناس عامة ، ورفض ما يضر بهم

وينبغي للعاقل أن يكون صادق اللهجة ، حسن العشرة ، طلق المحيا في سرائه وضرائه . خفيف الطبع وقوراً وقيماً ، تصدق اقواله وافعاله . وان يكون اميناً محباً للفضل وأهله ، منصفاً يتبع الحق حيث كان ، ويطلبه حيث وجد وينبغي للعاقل أن لا يعمل عملاً حتى يتدبر عاقبة امره كيف تكون - فان كانت حسنة بادر اليه بلا توان ، وان كانت سيئة وخيمة تركه بلا فشل وندم - فرباً احجام خير من اقدام

وينبغي للعاقل أن يكون سليم القلب واسع الصدر سمحاً صفوحياناً ، محباً للسلم مبغضاً للحرب لأن الحرب داء قتال ، يفتك بالنفوس فتكاً ذريعاً . وان لا يبغي على أحد ، لأن البغي شر والشر يورث الدماء ، وان لا يعادي أحداً ، ولا يضمم سوءاً لأحد ، لأن المرء قليل بنفسه كثير بأصحابه

وينبغي للعاقل أن لا يحتقر صغيراً لصغره ، ولا يوقر كبيراً لكبره ، اذ المرء بأصغريه أو كما قال ابو الحسن علي : « المرء مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه » وأن يأخذ الحكمة ولو نطق بها مجنون ويأخذ ما يوافق رأيه من قول غيره ، ولا يتقصد ما يخالف رأيه منه كونه خالفه . فكل فردٍ من البشر رأي والكمال لله وحده

لاظم الربيلي

(بغداد)

